تعظيم السنة
وموقف السلف ممن عارضها
أو استهزأ بشيء منها

عبد القيوم السحيباني

مصدر هذه المادة:







تقريظ

فضيلة الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي

المدرس بالمسجد النبوي وخطيب مسجد قباء
والأستاذ بالجامعة الإسلامية

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا .. وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

فإنَّ الله أعلى للسنة مكانها، وأوجب على العباد حبَّها واتباعها، وقيَّض لها على مرِّ العصور والدهور رجالها وأنصارها، الذين تعلَّموها وعملوا بها ودعوا إليها، فكانوا أحقَّ بها وأهلها.

بذلوا لِمن والاها صادق محبتهم، ولمن عاداها جليَّ بُغضهم وظاهر عداوتهم، فهم أهل السُّنة شعارًا ودثارًا، وحماة عرينها ليلاً ونهارًا.

وهذه الرسالة المباركة جُملة من نصوص الكتاب والسُّنة، وشذا من عبير السلف الصالح لهذه الأمة.

فجزى الله الشيخ عبد القيوم بن محمد السحيباني خير الجزاء

على هذه الحمية الدينية، والغيرة الصادقة السلفية.

وأسأل الله العظيم أن يجعل فيها فوق ما يُرجَى من الانتفـــاع، وأن يفتح لها القلوب والأسماع .. وصلِّي الله وسلِّم وبارك على نبيه وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

محمد بن محمد المختار بن محمد الشنقيطي

٢٢/٤/١٤١٤هـ

***

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له .. وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران : ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء : ١].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب : ٧٠، ٧١].

إنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله ﷺ، وشر الأمور محدثاها، وكلُّ محدثةٍ بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

وبعد:

فإنَّ الله أرسل رسوله ﷺ إلى الناس ليُبيِّن لهم ما نُزِّل إليهم، ويُخرِجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم، وأوجب عليهم طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره.

قال تعـالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء : ٥٩].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»(١).

وقد أخذ بهذا الصحابة ﷺ، وساروا عليه، فكانوا لرسـول الله ﷺ مُحبِّين طائعين، وكانت سُنته وقوله وهديه مُقدَّمةً عندهم على كلِّ شيء؛ فكلام النبي ﷺ هو الأول لا يُقدَّم عليه كلام أحدٍ مـن البشر كائنًا من كان.

كانوا عن السُنة منافحين، ولها حامين، فإذا رأوا أحدًا يعارضها أو يستهزئ بشيءٍ منها — قصدًا أو بغير قصد — وبَّخُوه وقرَّعـوه وزجروه، ثم هجروه، لا يكلمونه ولا يساكنونه، وقد يضـربونه أو يقتلونه رِدَّةً أو تعزيرًا.

وبذلك حموا السُّنة عن كيد الكائدين وعدوان المعتدين.

وكانوا بواجب النصيحة لرسول الله ﷺ قائمين.

ثم جاء بعدهم التابعون فساروا على طريقهم وحذوا حذوهم.

حتى إذا بَعُدَ الزمان، وطال بالناس العهد، وضـعف الإيمـان، وكثر الخبث والنفاق، وقلَّ الورع؛ تجرَّأ كثيرٌ من الناس على القول والكلام، فقال كلٌّ بهواه، وتكلَّم بما لا يرضاه الله ورسوله ﷺ.

وفي هذا الزمان، زمان الفتن التي يرقِّق بعضها بعضًـا، رأينـا

(١) أخرجه البخاري (ح١٥) ومسلم (ح٧٠).

العجائب والعظائم، رأينا أمورًا لا يسع أحدًا السكوت عنها بحال.

فمن ذلك السخرية والاستهزاء بالسُّنة النبوية، ومعارضتها بالعقول والآراء والرغبات والعادات، كالسخرية والاستهزاء باللحية، ورفع الرجل ثوبه فوق الكعبين، وحجاب المرأة، والسواك، والصلاة إلى سترة، وغير ذلك.

فتسمع من يصف تلك الأعمال بأوصاف رديئة، أو يتهكَّم بمن التزم بها، فلم يجد هؤلاء ما يملئون به فراغهم إلاَّ الضحك والاستهزاء بمن عمل بالسُّنة وحافظ عليها، فيجعلونه محلاًّ لسخريتهم هازلين لاعبين، فيصدق في مثلهم قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»[1].

ويغفل كثيرٌ من الناس عن أمرٍ خطير، وهو أنَّ الاستهزاء بالدين كفر، سواء كان على سبيل اللعب والهزل والمزاح، أو على سبيل الجد، فهو كفرٌ مُخرِج من الملَّة.

قال ابن قدامة: من سبَّ الله تعالى كفر، سواء كان مازحًا أو جادًا، وكذلك من استهزأ بالله تعالى، أو بآياته، أو برسله، أو كتبه. اهـ[2].

لهذا قمت بكتابة هذا البحث مشاركةً في التحذير من هذه الظاهرة السيئة، والتنبيه على خطرها، وبيان موقف المسلم من

(١) أخرجه البخاري (ح ٦٤٧٨).
(٢) المغني (١٢/٢٩٨).

أصحابها، ذاكرًا بعض الآيات والأحاديث والآثار في أهمية السُّنة وتعظيمها، وتعجيل عقوبة من عارضها أو استهزأ بشيءٍ منها، وموقف سلف الأمَّة منه.

وسأقتصر على سرد النصوص وبعض تعليقات الأئمَّة، وهي كافية إن شاء الله في توضيح الحقِّ وبيان الهدى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، وإن علَّقت بشيءٍ بعد ذلك فهو يسير بالنسبة لِما ذكرته من النصوص .. والله أسأل أن ينفعني به ومن بلغ.

وتوضيحًا للمراد من السُّنة أقول:

ليس المراد بالسُّنة هنا المرادف للمندوب والمستحب، المقابل للمكروه فحسب.

وليس المراد كذلك المقابل للقرآن، كما يقولون: «الدليل من الكتاب كذا ومن السُّنة كذا».

ولكن المراد بالسُّنة هنا: الطريق والهدي، أي هدي النبي ﷺ وطريقته.

فهو عام يشمل الواجب والمستحب، ويشمل العقائد والعبادات والمعاملات والسلوك.

قال علماء السلف: «السُّنة» هي العمل بالكتاب والسُّنة، والاقتداء بصالح السلف، واتِّباع الأثر[1].

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٢٨).

وقال أبو القاسم الأصبهاني:

قال أهل اللغة: «السُّنة» السيرة والطريقة، قولهم «فلان على السُّنة»، و«من أهل السُّنة»، أي هو موافق للتنزيل والأثر في الفعل والقول، ولأنَّ السُّنة لا تكون مع مخالفة الله ومخالفة رسوله ﷺ[١].

قال ابن رجب:

و«السُّنة» هي الطريق المسلوك؛ فيشمل ذلك التمسُّك بما كان عليه صلَّى الله عليه وسلَّم هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السُّنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديمًا لا يُطلقون اسم السُّنة إلا على ما يشمل ذلك كلَّه.

ورُوي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض[٢].



(١) المصدر نفسه (٢/٣٨٤).
(٢) جامع العلوم والحكم (ح٢٨).

فصل
في تعظيم السُّنة

قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب : ٣٦].

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء : ٨٠].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢١].

﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور : ٥٤].

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٦٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات : ٢].

قال ابن القيم تعليقًا على هذه الآية: فحذَّر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض.

وليس هذا بردَّة، بل معصية تحبط العمل، وصاحبها لا يشعر

بها[١] فما الظن بمن قدَّم على قول رسول الله ﷺ وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه؟!

أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر؟ اهـ[٢].

وعن العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع، فأوصنا.

قال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة

(١) قال ابن القيم: فإن قيل: كيف تحبط الأعمال بغير الردة؟
قيل: نعم قد دل القرآن والسنة والمنقول عن الصحابة أن السيئات تحبط الحسنات، كما أن الحسنات يذهبن السيئات.
قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾ [البقرة: ٢٦٤].
وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الحجرات: ٢].
وقالت عائشة لأم زيد بن أرقم: أخبري زيدًا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب — لما بايع بالعينة.
وقد نص الإمام أحمد على هذا، فقال: ينبغي للعبد في هذا الزمان أن يستدين ويتزوج، لئلا ينظر إلى ما لا يحل له فيحبط عمله.
وآيات الموازنة في القرآن تدل على هذا، فكما أن السيئة تذهب بحسنة أكبر منها، فالحسنة يحبط أجرها بسيئة أكبر منها.اهـ .
(٢) الوابل الصيب (ص٢٤). ط دار ابن الجوزي.

ضلالة»[١].

قال أبو بكر الصديق ﷺ: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به، إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ».

علَّق ابن بطة على هذا بقوله: هذا يا أخواني الصدِّيق الأكبر يتخوَّف على نفسه من الزيغ إن هو خالف شيئًا من أمر نبيه ﷺ، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته؟!.. نسأل الله عصمة من الزلل، ونجاة من سوء العمل[٢].

قال عمر بن عبد العزيز ﷺ: «لا رأي لأحد مع سُنة سنَّها رسول الله ﷺ»[٣].

وعن أبي قلابة قال: إذا حدَّثت الرجل بالسُّنة فقال «دعنا من هذا وهات كتاب الله» فاعلم أنه ضال[٤].

علَّق الذهبي على هذا بقوله:

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٤٦٠٧) والترمذي (ح٢٦٧٦) وابن ماجه (ح٤٤).
(٢) الإبانة (١/٢٤٦).
(٣) إعلام الموقعين (٢/٢٨٢).
(٤) طبقات ابن سعد (٧/١٨٤).

وإذا رأيت المتكلِّم المبتدع يقول «دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد وهات العقل» فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول «دعنا من النقل ومن العقل وهات الذوق والوجد» فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر أو قد حلَّ فيه، فإن جبنت منه فاهرب، وإلاَّ فاصرعه، وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه[١].

قال الشافعي:

أخبرني أبو حنيفة بن سمَّاك بن الفضل الشهابي قال: حدَّثني ابن أبي ذئب عن المقري عن أبي شريح الكعبي أنَّ النبي ﷺ قال عام الفتح: «**من قُتل له قتيل فهو بخير النظرين؛ إن أحبَّ أخذ العقل، وإن أحب فله قود**».

قال أبو حنيفة:

فقلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا يا أبا الحارث؟ فضرب صدري، وصاح علي صياحًا كثيرًا ونال مني وقال: أحدِّثك عن رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به؟!.. نعم، آخذ به، وذلك الفرض عليّ وعلى من سمعه، إنَّ الله اختار محمدًا من الناس فهداهم به وعلى يديه، واختار لهم ما اختار له وعلى لسانه، فعلى الخلق أن يتَّبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٧٢/٤).

قال: وما سكتَ حتى تمنيتُ أن يسكت [١].

قال الشافعي:

أجمع المسلمون على أنَّ من استبان له سُنة رسول الله ﷺ لم يحلّ له أن يدعها لقول أحد[٢].

قال الحميدي:

رَوى الشافعي يومًا حديثًا فقلت: أتأخذ به؟

فقال: رأيتني خرجت من كنيسة أو علي زنار حتى إذا سمعت عن رسول الله حديثًا لا أقول به؟![٣]

وسُئل الشافعي عن مسألة فقال: رُويَ فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ، فقال السائل: يا أبا عبد الله، تقول به؟

فارتعد الشافعي وانتفض وقال: يا هذا، أيُّ أرضٍ تقلُّني، وأيُّ سماءٍ تظلُّني إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا فلم أقل به؟ نعم، عليَّ السمع والبصر[٤].

قال أحمد بن حنبل: من رد حديث النبي ﷺ فهو على شفا هلكة[٥].

---

(١) الرسالة للشافعي (ص٤٥٠) رقم (١٢٣٤)ن وانظر الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٣٠٢/٢).
(٢) إعلام الموقعين (٢٨٢/٢).
(٣) حلية الأولياء (١٠٦/٩)، وسير أعلام النبلاء (٣٤/١٠).
(٤) الفقيه والمتفقه (١٥٠/١)، وصفة الصفوة (٢٥٦/٢).
(٥) طبقات الحنابلة (١٥/٢)، والإبانة (٢٦٠/١).

قال البربهاري: وإذا سمعت الرجل يطعن في الآثار أو يريد الآثار، فاتهمه على الإسلام، ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع[١].

وقال أبو القاسم الأصبهاني:

قال أهل السُّنة من السلف: إذا طعن الرجل على الآثار، ينبغي أن يُتهم على الإسلام[٢].

قال محمد بن يحيى الذهلي:

سمعت يحيى بن يحيى – يعني أبا زكريا التميمي النيسابوري – يقول: الذّبُّ عن السُّنة أفضل من الجهاد في سبيل الله.

قال محمد: قلت ليحيى: الرجل يُنفق ماله، ويتعب نفسه ويجاهد، فهذا أفضل منه؟! قال: نعم، بكثير[٣].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: المتَّبِع لِلسُّنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من الضرب بالسيوف في سبيل الله[٤].

قال الحميدي: والله لأن أغزو هؤلاء الذين يردُّون حديث رسول الله ﷺ أحبّ إليّ من أغزو عدَّهم من الأتراك[٥].

---

(١) شرح السنة (ص٥١).
(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٢٨).
(٣) ذم الكلام وأهله (٤/٢٥٣-٢٥٤) رقم (١٠٨٩) ومجموع الفتاوى (٤/١٣) وسير أعلام النبلاء (١٠/٥١٨) ووقع في السير يحيى بن معين وهو تصحيف.
(٤) تاريخ بغداد (١٢/٤١٠) وطبقات الحنابلة (١/٢٦٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/٦١٩).

قال مالك بن أنس: السُّنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق[١].



(١) ذم الكلام وأهله (٥/٨١). ط. مكتبة دار العلوم والحكم.

فصل
في تعجيل عقوبة من لم يُعظِّم السُّنة

عن سلمة بن الأكوع ﷺ أنَّ رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «**كل بيمينك**»، قال: لا أستطيع. قال: «**لا استطعت؟ ما منعه إلاَّ الكبر**» قال: ما رفعها إلى فيه(١).

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ نهى أن يُشرب من فِيّ السقاء(٢).

قال أيوب: فأُنبئت أنَّ رجلاً شرب من فِيّ السقاء فخرجت حيَّة(٣).

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يتبختر في بردين خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

فقال له فتى: يا أبا هريرة، أهكذا كان يمشي ذلك الفتى الذي خُسف به؟ ثم ضرب بيده فعثر عثرة كاد يتكسَّر منها.

عن عبد الرحمن بن حرملة قال:

جاء رجل إلى سعيد بن المسيب يودِّعه بحجٍّ أو عمرة، فقال له: لا تبرح حتى تصلِّي؛ فإنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يخرج بعد النداء**

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٠٢١) والمراد أنَّ يده شُلَّت.
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٦٢٧، ٥٦٢٨).
(٣) أخرجه أحمد ٦٦/١٢ (ح٧١٥٣).

من المسجد إلا منافق، إلا رجل أخرجته حاجة وهو يُريد الرجعة إلى المسجد».

فقال: إنَّ أصحابي بالحرَّة. فخرج، فلم يزل سعيد يذكره، حتى أُخبِر أنه وقع من راحلته فانكسرت فخذه[1].

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل التيمي في شرحه لصحيح مسلم:

قرأت في بعض الحكايات أنَّ بعض المبتدعة حين سمع قول النبي ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها، فإنه لا يدري أين باتت يده»[2].

قال ذلك المبتدع على سبيل التهكم: أنا أدري أين باتت يدي، باتت في الفراش!

فأصبح وقد أدخل يده في دُبره إلى ذراعه..!

قال التيمي:

فليتَّق المرء الاستخفاف بالسُنن ومواضع التوقيف، فانظر كيف وصل إليه شؤم فعله[3].

وعن أبي يحيى الساجي قال:

كنا نمشي في أزقَّة البصرة إلى باب بعض المحدثين، فأسرعنا

(١) أخرجه عبد الرزاق (ح١٩٤٥) والدارمي (ح٤٤٦) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (ح١٦٢)، ومسلم ح (٢٧٨).
(٣) بستان العارفين للنووي (ص٩٤).

المشي ومعنا رجلٌ ماجنٌ مُتَّهمٌ في دينه، فقال مستهزِئًا: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها.

فلم يزل من موضعه حتى جفَّت رجلاه وسقط[1].

قال النووي:

قال الحافظ عبد الحافظ: إسناد هذه الحكاية كالوجد أو كرأي العين، لأنَّ رواها أعلام أئمَّة.

وقال القاضي أبو الطيب:

كنا في مجلسٍ بجامع المنصور، فجاء شاب خراساني، فسأل عن مسألة المصراة، فطالب بالدليل، حتى استدلَّ بحديث أبي هريرة الوارد فيها، فقال (وكان حنفيًا): أبو هريرة غير مقبول الحديث.

فما استتمَّ كلامه حتى سقطت عليه حيَّة عظيمة من سقف الجامع، فوثب الناس من أجلها، وهرب الشاب منها، وهي تتبعه، فقيل له: تب، تب.

فقال: تبت، فغابت الحية، فلم يُرَ لها أثر..!

قال الذهبي: إسنادها أئمة [2].

وقال قطب الدين اليونيني:

بلغنا أنَّ رجلاً يُدعى «أبا سلامة» من ناحية بصري كان فيه

(١) ذم الكلام وأهله (٣٦٩/٤) رقم (١٢٣٢) وبستان العارفين للنووي ص (٩٢).
(٢) سير وأعلام النبلاء (٦١٨/٢) وانظر البداية والنهاية (١٩٩/١٦).

مجون واستهتار، فذُكِر عنده السواك وما فيه من الفضيلة فقال: والله لا أستاك إلاَّ في المخرج – يعني دبره – فأخذ سواكًا فوضعه في مخرجه ثم أخرجه .. فمكث بعده تسعة أشهر وهو يشكو من ألم في البطن والمخرج..!

فوضع ولدًا على صفة الجرذان له أربعة قوائم ورأسه كرأس السمكة، وله دُبر كدُبر الأرنب، ولَمَّا وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين، ومات في الثالث، وكان يقول: هذا الحيوان قتلني، وقطَّع أمعائي.

وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حيًّا، ومنهم من رآه بعد موته(١).



(١) البداية والنهاية، أحداث ٦٦٥هـ.

فصل
في موقف سلف الأمة مِمَّن عارض السُّــنة

عن أبي قتادة قال:

كنا عند عمران بن حصين في رهطٍ منا، وفينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء خيرٌ كلُّه**» أو قال: «**الحياء كلُّه خير**»، فقال بشير بن كعب: إنــا لنجــد في بعض الكتب أو الحكمة: أنَّ منه سكينة ووقارًا لله، وفيه ضعف.

فغضب عمران حتى احمرت عيناه وقال: ألا أراني أحدِّثك عن رسول الله ﷺ، وتُعارض فيه[1]؟

وعن أبي المخارق قال:

ذكر عبادة بن الصامت أنَّ النبي ﷺ نهى عن درهمين بــدرهم، فقال فلان: ما أرى بهذا بأسًا، يدًا بيد.

فقال عبادة: أقول قال النبي ﷺ، وتقول: لا أرى به بأسًــا؟..

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦١١٧) ومسلم (ح ٦١) واللفظ له.
وقد ذكر في فتح الباري (١٠/٥٢٢) عدة أقوال في سبب غضب عمران:
١- قيل إنه غضب من قوله: (وفيه ضعف).
٢- قيل غضب من قوله: (منه) لأن التبعيض يفهم أن منه ما يضاد ذلك، وقد روى أنه كله خير.
٣- قيل إنما أنكره عليه من حيث إنه ساقه في معرض من يعارض كلام الرسول بكلام غيره. واستحسن ابن حجر ذا التوجيه.
٤- قيل إنما أنكره عليه لكونه خاف أن يخلط السنة بغيرها.

والله لا يظلُّني وإياك سقف أبدًا[١].

وعن عبد الله بن مغفل ﷺ: نهى النبي ﷺ عن الخذف وقال: «**إنها لا تصطاد صيدًا، ولا تنكأ عدوًا، ولكنها تفقًأ العين، وتكسر السن**» .. فقال رجل لعبد الله بن مغفل: وما بأس هذا؟ فقال: إني أحدِّثك عن رسول الله، وتقول هذا؟ والله لا أكلمك أبدًا[٢].

قال النووي:

فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السُّنة مع العلم، وأنه يجوز هجرانه دائمًا، أمَّا النهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام فإنما هو فيمن هُجِر لِحَظِّ نفسه ومعايش الدنيا، وأمَّا أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائمًا .. وهذا الحديث مِمَّا يُؤيِّده مع نظائره له، كحديث كعب بن مالك وغيره. اهـ[٣].

وقال ابن حجر:

وفي الحديث جواز هجران من خالف السُّنة وترك كلامه، ولا يدخل ذلك في النهي عن الهجر فوق ثلاث؛ فإنه يتعلَّق بِمَن هُجِر لِحَظِّ نفسه. اهـ[٤].

(١) أخرجه ابن ماجه (ح١٨) والدارمي ح (٤٤٣) واللفظ له والحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح١٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٤٧٩) ومسلم (ح١٩٥٤) وهذا اللفظ لابن بطة في الإبانة (ح٩٦).
(٣) شرح صحيح مسلم (١٠٦/١٣).
(٤) الفتح (٦٠٨/٩).

وعن قتادة قال:

حدَّث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل: قال فلان كذا وكذا، فقال ابن سيرين: أحدِّثك عن النبي ﷺ وتقول: قال فلان كذا وكذا؟!.. لا أكلمك أبدًا(١).

وعن سالم بن عبد الله أنَّ عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها**»، فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهنّ.

فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبًّا سيئًا ما سمعته سبَّه مثله قط، وقال: أُخبِرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن؟!(٢).

قال النووي: فيه تعزير المعترض على السُّنة والمعارض لها برأيه(٣).

قال ابن حجر: أُخِذ من إنكار عبد الله على ولده تأديب المعترِض على السُّنن برأيه، وجواز التأديب بالهجران، فقد وقع في رواية أبي نجيح عن مجاهد عند أحمد «فما كلَّمه عبد الله حتى مات»(٤)، وهذا – إن كان محفوظًا – يُحتمل أن يكون أحدهما مات عقب هذه القصة بيسير(٥).

---

(١) أخرجه الدارمي (ح٤٤١).
(٢) أخرجه مسلم (ح٤٤٢) رقم خاص: (١٣٥).
(٣) شرح صحيح مسلم (١٦٢/٤).
(٤) المسند ح (٤٩٣٣، – ٥٢٧/٨).
(٥) الفتح (٣٤٩/٢).

وعن عطاء بن يسار أنَّ رجلاً باع كسرة من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُنهى عن مثل هذا إلاَّ مثلاً بمثل، فقال الرجل: ما أرى بمثل هذا بأسًا.

فقال أبو الدرداء: من يعذرني من فلان؟ أحدِّثه عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه!.. لا أساكنك بأرض أنت بها [١].

وعن الأعرج قال:

سمعت أبا سعيد الخدري يقول لرجل: أتسمعني أحدِّث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تبيعوا الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم إلا مثلاً بمثل، ولا تبيعوا منها عاجلاً بآجل**» ثم أنت تفتي بما تفتي، والله لا يؤويني وإياك ما عشت إلا المسجد[٢].

وقال أبو السائب:

كنا عند وكيع، فقال لرجل عنده مِمَّن ينظر في الرأي: أشعر[٣] رسول الله ﷺ، ويقول أبو حنيفة «هو مُثلة».

قال الرجل: فإنه قد رُوي عن إبراهيم النخعي أنه قال: «الإشعار مُثلة»، قال: فرأيت وكيعًا غضب غضبًا شديدًا وقال: أقول لك قال رسول الله ﷺ وتقول: قال إبراهيم؟!.. ما أحقّك بأن

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (ح٩٤).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (ح٩٥).

(٣) الإشعار: هو أن يشق أحد جني سنام البدنة حتى يسيل دمها، ويجعل ذلك لها علامة تعرف بها أنها هدي. النهاية (٤٧٩/٢).

تُحبس ثم لا تخرج حتى تنـــزع عن قولك هذا[١].

وعن خُرَّزَاذ العابد قال:

حديث أبو معاوية الضرير عند هارون الرشيد، بحديث «**احتجَّ آدم وموسى**».

فقال: رجل شريف من وجوه قريش فأين لقيـــه؟.. فغضـــب هارون الرشيد وقال: النطع والسيف، زنديق يطعن في الحديث .. فما زال أبو معاوية يُسكنه ويقول: بادرة يا أمير المؤمنين و لم يفهم، حتى سكن [٢].

وقال عاصم: مرَّ رجل على زرٍّ بن حبيش وهو يؤذِّن فقال: يا أبا مريم، قد كنت أكرمك عن ذا، فقال: إذن لا أُكلِّمك كلمة حتى تلحق بالله[٣].

قال الحاكم: سمعته – يعني أبا بكر الصبغي – وهو يخاطـــب فقيهًا، فقال: حدِّثونا عن سليمان بن حرب، فقال له: دعنـــا مَـــن حدَّثنا إلى متى حدَّثنا وأخبرنا؟

فقال: يا هذا، لست أشمُّ من كلامك رائحة الإيمان، ولا يحلُّ لك أن تدخل داري .. ثم هجره حتى مات[٤].

---

(١) جامع الترمذي (٣/٢٥٠).
(٢) تاريخ بغداد (١٤/٧) وذم الكلام وأهله (٤/٢٦٣) وسير أعلام النبلاء (٩/٢٨٨).
(٣) السير (١/١٦٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٥/٤٨٥)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣/١٠).

قال الواقدي:

حدَّثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: قال مروان بن الحكم، وهو على المدينة وعنده ابن يامين النضري: كيف كان قتل ابن الأشرف؟ قال ابن يامين: كان غدرًا.

وكان محمد ابن مسلمة جالس، شيخ كبير، فقال: يا مروان، أيغدر رسول الله ﷺ عندك؟.. والله ما قتلناه إلاَّ بأمر رسول الله ﷺ .. والله لا يؤويني وإيَّاك سقف بيت إلا المسجد، وأما أنت يا بن يامين فلله عليّ إن أفلتّ وقدرتُ عليك وفي يدي سيف إلا ضربت به رأسك[1].

وقال أبو عبد الله المؤذن:

كنت مع ابن أبي شريح في طريق غور، فأتاه إنسان في بعض تلك الجبال فقال له: إنَّ امرأتي ولدت لستة أشهر..

فقال: هو ولدك، قال رسول الله «**الولد للفراش**»، فعاوده، فردَّ عليه كذلك.

فقال الرجل: أنا لا أقول بهذا. فقال: إنَّ هذا الغزو، وسلَّ عليه السيف، فأكببنا عليه، وقلنا: جاهل، لا يدري ما يقول[2].

وقال أبو الحسين الطبسي:

سمعت أبا سعيد الأصطخري يقول: ...وجاءه رجل وقال له:

(١) الصارم المسلول (ص٩٠).
(٢) ذم الكلام وأهله (٣٩٨/٤) رقم (١٢٥٨).

أيجوز الاستنجاء بالعظم؟ قال: لا. قال: لِمَ؟ قال: لأنَّ رسول الله ﷺ قال: «**هو زاد إخوانكم من الجن**».. فقال له: الإنس أفضل أم الجن؟

قال: بل الإنس. قال: فلِمَ يجوز الاستنجاء بالماء وهو زاد الإنس؟

قال: فنزا عليه وأخذ بحلقه وهو يقول: يا زنديق، تُعارض رسول الله ﷺ؟.. وجعل يخنقه، فلولا أني أدركته لقتله، أو كما قال[1].

قال ابن القيم:

هل كان في الصحابة من إذا سمع نصَّ رسول الله ﷺ عارضه بقياسه أو ذوقه أو وجده أو عقله أو سياسته؟.. وهل كان قط أحدٌ منهم يقدم على نصِّ رسول الله ﷺ عقلاً أو قياسًا أو ذوقًا أو سياسة أو تقليد مقلِّد؟. فلقد أكرم الله أعينهم وصانها أن تنظر إلى وجه من هذا حاله أو يكون في زمانهم.

ولقد حكم عمر بن الخطاب ﷺ على من قدَّم حُكمه على نصِّ الرسول بالسيف، وقال: هذا حُكمي فيه..

فيا الله!

كيف لو رأى ما رأينا؟ وشاهد ما بُلينا به من تقديم رأي كلِّ فلان وفلان على قول المعصوم ﷺ، ومعاداة من اطَّرح آراءهم وقدَّم

(١) مدارج السالكين (١/٣٣٤).

عليها قول المعصوم؟

فالله المستعان .. وهو الموعد .. وإليه المرجع[١].



(١) نفس المرجع السابق.

الخَاتَمَـــة

هذه نصوص الكتاب والسُّنة جليَّة في تعظيم السُّنة.

وهذا موقف السلف (الصحابة والتابعين) مِمَّن عارضها، ترى فيه القوَّة والحزم والشدَّة على من بدر منه شيءٌ فيه معارضة السُّنة.

قال ابن القيم:

وقد كان السلف الطيب يشتدُّ نكيرهم وغضبهم علـى مـن عارض حديث رسول الله ﷺ برأيٍ أو قياسٍ أو استحسانٍ أو قول أحدٍ من الناس كائنًا من كان، ويهجرون فاعل ذلك، وينكـرون على من يُضرب له الأمثال، ولا يسوغون غير الانقياد له والتسليم والتلقِّي بالسمع والطاعة، ولا يخطر بقلوبهم التوقف في قبوله[1].

فقارن أيها المسلم بين موقف السلف مِمَّن عـارض السُّـنة وموقف أهل هذا العصر مِمَّن استهزأ بالسُّنة.

وقبل ذلك انظر قول أولئك، ثم انظر قول أهل هذا العصر.

أمَّا أولئك فقد رأيت، وأما هؤلاء فخُذ أمثلة على استهزائهم:

١- ردَّ بعضهم حديثًا فقيل له: إنه في صحيح مسلم، فقـال: ضعه تحت قدمك!

٢- ويقول أحدهم بكلِّ وقاحة تعليقًا على حديث «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم**...»: أنا آخذ بقول الطبيـب الكـافر ولا

(١) إعلام الموقعين (٤/٢٤٤).

آخذ بقول الرسول!

٣- وقال آخر: إذا عارض الحديث العقل فردّه. فقيل له: وإن كان في صحيح البخاري؟.. قال: وإن كان في صحيح البخاري، ولا كرامة!

هكذا يستهزئ هؤلاء بالسُّنة ويسخرون!

فما موقف أهل زماننا منهم وكيف يعاملوهم؟

بالهجر والزجر والمقاطعة؟.. لا.

بل أكثر يُمجِّدوهم ويُعظِّموهم، اتباعًا للهوى وتحكيمًا للرأي ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ**﴾ [القصص : ٥٠].

قد اغترُّوا بكثرة أعمالهم وشهرهم عند الناس، ونسوا أنَّ من شرط قبول الأعمال الإيمان ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ [طه : ١١٢].

والاستهزاء بالسُّنة ناقض للإيمان، وهذا ناتج عن عدم اتباع الكتاب والسُّنة، ﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**﴾ [النجم : ٢٣].

﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية : ٢٣].

وفي الحديث: «ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيُحرِّمون الحلال

ويُحلِّلون الحرام»(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي فضلُّوا وأضلُّوا»(٢).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لو كان الدِّين بالرأي لكان أسفل الخفِّ أولى بالمسح من أعلاه»(٣).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنكم ستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدُّع، وإياكم والتنطُّع، وإياكم والتعمُّق، وعليكم بالعتيق»(٤).

قال ابن بطة: فاعتبروا يا أولي الأبصار، فشتَّان بين هؤلاء العقلاء السادة الأبرار الأخيار الذين مُلئت قلوبهم بالغيرة على إيمانهم والشحُّ على أديانهم، وبين زمانٍ أصبحنا فيه وناس نحن منهم وبين ظهرانيهم..

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣٧٤/١) والحاكم في مستدركه (٤٣٠/٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وانظر مجمع الزوائد (١٧٩/١) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٢) اللالكائي (١٢٣/١)، والفقيه والمتفقه للبغدادي (١٨٠/١)، وابن عبد البر في الجامع (ص: ٤٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود ١١٤/٠١، (ح: ١٦٢). وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (١٦٩/١): إسناده صحيح.

(٤) خرجه الدارمي (٦٦/١)، واللالكائي (٨٧/١).

هذا عبد الله بن مغفل صاحب رسول الله ﷺ وسيد من سادتهم يقطع رحمه ويهجر حميمه حين عارضه في حديث رسـول الله ﷺ، وحلف أيضًا على قطيعته وهجرانه، وهو يعلم ما في صلة الأقـربين وقطيعة الأهلين.

وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء — سَـمَّاه رسـول الله ﷺ «حكيم هذه الأمة» — وأبو سعيد الخدري؛ يظعنون عن أوطانهم، وينتقلون عن بلدانهم، ويظهرون الهجرة لإخوانهم، لأجل مَن عارض حديث رسول الله ﷺ، وتوقَّف عن استماع سُنته..!

فيا ليت شعري كيف حالنا عند الله عزَّ وجل ونحن نلقَى أهل الزيغ في صباح مساء يستهزئون بآيات الله ويعاندون سنة رسول الله ﷺ حائدين عنها وملحدين فيها؟!

سلمنا الله وإياكم من الزيغ والزلل. اهـ [1].

وإذا كان بعض المنتسبين إلى أهل السُّنة والجماعة لا يتورَّع عن تمجيد الساخرين بالسُّنة وتعظيمهم، فإنَّ من المنتسبين كذلك مَـن وقع في شيء من السخرية والاستهزاء بالسُّنة، وذلك فيما يُسـمى بـ«السُنن الجبلية» كإطالة الشعر، فإذا رأى شابًا يحرص على ذلك ويُطبِّقه لمزه وغمزه وتهكَّم به، ولا يدري المسكين أنه يسخر مـن شيءٍ فعله النبي ﷺ!

وإذا كان هذا البائس لا يرى مشروعية الاقتداء بالسُنن الجبلية

(١) الإبانة (٥٢٩/١).

– كما هو رأي بعض أئمَّة العلم[1] – فليعلم أنَّ هذا لا يبيح لـــه الاستهزاء بمن يرى ذلك ويفعله، وإن كان قصده التوجيه والإرشاد فباب النقاش العلمي مفتوح.

وأخطر من هؤلاء من يسخر بالأفعال التعبُّدية التي جاء الأمـــر فيها صريحًا كتقصير الثياب إلى نصـــف الســـاق، وكالصـــلاة إلى السترة، وغير ذلك.

وإني لأعجب من هؤلاء الذين تضيق صدورهم عندما يـــرَون مـــن يجتهد في تطبيق السُّنة، حتى وإن كانت جبلية، فإنّ من يعمل بهـــا لَـــم يرتكب مُحرَّمًا ولا مكروهًا، فهو على أقلِّ الأحوال لم يخرج عن المباح.

فلماذا تضيق صدورهم عند رؤية هؤلاء ما لا تضيق عند رؤية أهل البدع والمعاصي؟ !

أيريدون أن يكونوا كالذين يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان؟!

فالله المستعان.

---

(١) قال ابن تيمية: في الاقتداء بأفعال الرسول ﷺ الجبلية والعادية خلاف شهير قديم بين أهل العلم: قال ابن تيمية للناس قولان فيما فعله من المباحات على غير وجه القصد؛ هل متابعته فيه مباحة فقط، أو مستحبة؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره. الفتاوى (٤١١/١٠).
قلت: وبسط المسألة ليس هذا محلّه، ولكن الذي أريد تقريره هنا هو: إنَّ من مال إلى أحد الأقوال لا ينبغي له التشنيع على من خالفه في ذلك، ولا الاستهزاء والسخرية به. وقد مال ابن تيمية إلى عدم الاقتداء بالأفعال الجبلية، ومع ذلك – يقول فيمن يقتدي بالأفعال الجبلية: لا ينكر على فاعله مما يسوغ فيه الاجتهاد. الفتاوى (٢٨٢/١). فنهى عن الإنكار فضلاً عن الاستهزاء والسخرية.
ولا يفهم من هذا منع المناقشة العلمية في ذلك، بل بابها مفتوح لمن كان أهلاً.

أيها الأخوة:

إنَّ الاستهزاء بالسُّنة والسخرية بها نذير شرّ، وأيّ شر.

قال عبد الله بن الديلمي: بلغني أنَّ أول ذهاب الدين ترك السُّنة.

يذهب الدين سُنةً سنة، كما يذهب الحبل قوَّةً قوة (١).

فعودة أيها الناس إلى الكتاب والسُّنة على فهم سلف الأمة.

فَكُلُّ خيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَف

وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَن مُخْلِف (٢)

قال أبو حفص عمرو بن سلمة النيسابوري الحداد: من لم يزن أفعاله وأحواله في كلِّ وقتٍ بالكتاب والسُّنة، ولم يتهم خواطره،

---

(١) أخرجه الدارمي (٥٨/١)، وابن بطة (٣٥٠/١)، واللالكائي (٩٣/١).

(٢) هذا البيت من «متن الجوهرة» لإبراهيم اللقاني، وهي منظومة في العقيدة على نهج الأشاعرة. ومن المفارقات العجيب أنه قال فيها هذا البيت. وقال قبل ذلك:

وَكُلُّ نَصٍّ أوهَمَ التَّشْبيهَا ... أَوِّلَهُ أَو فَوض وَرم تَنزِيهًا

فليت شعري: هل التأويل والتفويض طريقة السلف؟

فانظر كيف يأمر بالتأويل والتفويض، وفي آخر منظومته يقول:

فَكُلُّ خَير فِي اتِّبَاعِ من سَلف.....

وعلى كلٍّ حال: إنما أشرت إلى هذا لبيان حال أهل البدع، وكثرة اضطرابهم، وأوردت البيت للاستشهاد به لأن معناه صحيح، وإن كان قائله لم يلتزم به. فرب حامل فقه غير فقيه.

فلا تعدّه في ديوان الرجال(١).

وقال محمد بن عبد الوهاب في رسالته «نواقض الإسلام»:

ومن أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر(٢)، ومن استهزأ بشيءٍ من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله أو عقابه كفر.

والدليل قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ويقول سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:

أجمع العلماء على كفر من فعل شيئًا من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء – إجماعًا(٣).

✡ ✡ ✡

(١) حلية الأولياء (١٠/٢٣٠)، والرسالة القشرية (ص١٧).
(٢) حلية الأولياء (١٠/٢٣٠)، والرسالة القشرية (ص١٧).
(٣) والدليل قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: ٩].

أيها المسلمون:

إنَّ الأمر خطير جدّ خطير.

فإنكم لو قارنتم بين ما قاله ذلك الرجل في غزوة تبوك والذي بسببه نزلت هذه الآية وبين ما يقول بعض المنتسبين للدعوة اليوم — لوجدتم أنَّ قول هؤلاء أعظم وأشد من قول أولئك، فالله المستعان.

قال ابن بطة: فالله الله إخواني، احذروا مجالسة من قدر أصابته الفتنة فزاغ قلبه، وعشيت بصيرته، واستحكمت للباطل نصـــرته؛ فهو يخبط في عشواء، ويعشو في ظلمة. أن يصيبكم ما أصابهم.

فافزعوا إلى مولاكم الكريم فيما أمركم به من دعوته، وحضَّكم عليه من مسألته فقولوا:

﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران : ٨]. اهـ(١).

كتبه الفقير إلى الله تعالى

عبد القيوم بن محمد بن ناصر السحيباني

وكان الفراغ منه ليلة الثلاثاء
الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٤١٣هـ
بالمدينة النبوية

ثم روجع — في طبعته الثانية — فزيد فيه، وحذف منه وكان الفراغ من ذلك بعد ظهر الخميس الثامن من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٢٠هـ

بمدينة رسول الله ﷺ

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٦١٧).

الفهرس